# أحمد المتنبّي

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

١

أحمدٌ كان مثل بحرٍ رحيب ... موجُه فوق لُجّه كالكثيبِ
شغل الناسَ منذ كان بشعرٍ ... قاله معجزاً لكل أديب
إنْ يكن أحمدٌ تنبّأ فى القو ... مِ فما إن عليه من تثريب
فلقد كان الشعر يوحى إليه ... سُوَراً للاصلاح والتهذيب
إنما معجزاته فى معانيـ ... ـه وفى لفظه وفى الأسلوب
كم له من معنى تراه قريباً ... وهو فى نفس الأمر غير قريب
ومن اللفظ ما يكاد من الرقّـ ... ـة يجرى إلى صميم القلوبِ

٢

أحمدٌ كان شاعراً وحكيما ... وبأسرار النفس كان عليما
أحمدٌ لا يفنى وإن كان فى قبـ ... ـرٍ عَفَتْهُ الأيام عظماً رميما
أحمدٌ كان فى الزعامة للشعـ ... ـر وفى العلم بالحياة عظيما
قد أراد الحُسّاد للحُرّ هضما ... فأبى الحرُّ أن يكون هضيما
جعل الشعر كالنهار مضيئاً ... بعد أن كان الشعرُ ليلاً بهيما
وكأن الديوان فى جمعه ما ... قاله كان للنجوم سديماً
قتلوا الشاعرَ العظيم اغتيالا ... وفشا قتلُه فكان أليما

٣

أيها الشاعر الحفىّ القدير ... باسمك اليوم يهتف الجمهور
أكبر الفضل ما تقدّره الأجيا ... لُ من بعد أهلـه والدهور
إنما قد أصاب شاكلةَ الأمـ ... ـة لمّا أصابك المقدور
ذُمّ دنيا غرّارة ليس تخلو ... من رزايا يسوء فيها المصير
أفجعُ الحادثات فى الغرب والشر ... ق على النابه الأديب تدور
قائل الشعر قد يبور مصاباً ... بمُلِمٍّ وشعرُه لا يبور
حبذا الشعر آتياً من شعور ... إنما يلمس الشعورَ الشعور

٤

يا قتيل الآداب إنك باقٍ ... وستحيا فى أنفس العشّاق
كل بيتٍ قد قلتَه فيك أرثى ... آهةٌ لى جاءت من الأعماق
حَرَم القاتلوك أمتهم من ... كلِمٍ ملء الدهر والآفاق
ولقد صارعتَ الخطوبَ إلى أن ... أطفأت منك كوكباً ذا ائتلاق
شاعر العقل، شاعر المجد والفخـ ... ـر الأثيلين ، شاعر الأخلاق
والذى آمنت ببعثته النا ... سُ على خِلفةٍ من الأذواق
جاءت الخيل وهى تنحط إعيا[1] ... ء وراء المحجّل السّباق

٥

إنما أنت للقريب الجديد ... مثلما أنت للقديم البعيد
لستُ ممن يقلّون كل قديم ... غير أنى أحبّ كل جديد
أنت فى الدولتين كنتَ رسولا ... ذا كتاب تدعو إلى التوحيد
ولقد صاغوا الشعرَ قبلك من لفـ ... ـظ ووزنٍ وصُغتَه من جديد
واحدٌ أنت من عباقرةٍ ما ... توا على الأرض غيلةً للخلود
أنت ممن جنى القريض عليهم ... قُتِلَ الشعرُ كم له من شهيد!
كنتَ حيناً كالليث يزأر للبط ... ش وحيناً كالبلبل الغرّيد

٦

أنت بالشعر إذ هززتَ الشعوبا ... كنتَ تُرضى النُهى وتُرضى القلوبا
حِكَمٌ للذى أراد صوابا ... ونسيبٌ لمن أراد النسيبا
تلك نارٌ إذا خَبَتْ فهى تُبقى ... من جديد للمصطلين لهيبا
يتعب الدهر فى التخير حتى ... يهب الناسَ شاعراً أو أديبا
قد دعاك العُلا فسرتَ إليه ... ودعوتَ العُلا فكان مجيبا
إنه وحده الحبيب الذى قد ... كنتَ منه وكان منك قريبا
ولئن كنتَ للغبىّ بغيضا ... فلقد كنتَ للذكىّ حبيبا

٧

أنت فردٌ يا أحمدُ المتنبى ... فى قريض نظمتَه ، إى وربّى!
ما دعوتَ القوافىَ الغُرّ إلّا ... وهْىَ عند الدعاء جاءت تلبّى
كثر الناقدو قريضك بالبا ... طل ستراً لصدقه بالكذب
رُبّ بنتٍ للشعر قد وأدوها ... فى ربيع الصبا على غير ذنب
غير أن الأيام قد ضربتهـم ... بمدحرب تأجّجت أىّ ضرب
شاعرٌ أنت للعروبة جمعا ... ء برغم الحُسّاد فى كل حقب
ولقد قالوا ما لأحمـدَ قبرٌ ... كذبوا ، إن قبر أحمد قلبى

(١) من أعيا إذا تعب

٨

لك فى الشعر غرّةٌ قعساء ... عجزت عن بلوغها الشعراء
إنهم ضلوا فى ظلام الليالى ... وهـدتك الجُرّة البيضاء
إنما قالة القريض كثير ... وقليـلٌ من بينها النبغاء
بين من راضوا الشعر أو قرضوه ... ليس إلا لاسم الزعيم البقاء
القريض الشريف ممن أهانو ... ه بما أسندوا إليـه براء
ليس من حظ العبقرىّ إذا بَرْ ... زَ إلا العـداء والبغضاء
ليس بالشعر ماخلا من شعورٍ ... وإن احلولىٰ لفظُه والبناء

٩

فاق شعرٌ به نطقتَ مبينا ... غُررَ الأولين والآخرينا
كان يحكى اليراعُ منك حساماً ... كلما احتلّ من يديك اليمينا
كنت تسطو به فيبدى زئيراً ... ثم تشكو به فيبدى أنينا
ضحكوا غِرّةً فأسبلتَ دمعا ... كنتَ تبكى به على الضاحكينا
ضمّ ديوانك الذى هو فِردَو ... سٌ من الشعر البكر حُوراً عِينا
إننى كلما له جئت أتلو ... أقرأ الحسنَ والهدى واليقينا
ولقد أبصُر الكماةَ أمامى ... وأرى قسطلاً فأغضى العيونا

١٠

كان ليلٌ يدجو وكان صباحُ ... تتغـذّى بضوئه الأرواح
أنت فى بحرٍ كنتَ تسبح والبا ... قون فى حوضٍ ماؤه ضحضاح
بك ليلُ القريض بعد ظلام ... لاح للعين صبحُه الوضّاح
ثم زاد المقصّرون صناعا ... تٍ إليها الأديب لا يرتاح
ثم كان الغواة فيـه فريقيـ ... ـن لكلٍّ عتادُه والسلاح
ففريقٌ مُقلِّدٌ لسواه ... وفريقٌ أباح مالا يُباح
ثم شبّت بين الفريقين حربٌ ... كثرت فى الغِمار منها الجِراح

١١

واحدٌ أنت من ملوك المعانى ... ماله فى سلطانه من ثان
شاعر العقل والعواطف فى النف ... س وما فى قرارها من أمانى
لا يدانيك ناقدٌ قد تحدّى ... إنه هادمٌ وأنت البانى
مالهم فى البلاغة اليوم أرضٌ ... ولك المشرقان والمغربان
أنت ما كنت ترسل الشعرَ إلاّ ... بعد نضج فى العقل أو فى الجَنان
بعد ألف من السنين تقضّى ... أكبرتك الأقوامُ فى مهرجان
تعترى السامعى قريضك منهم ... هزّةٌ فى الأرواح والأبدان

## فانك مصرى . . .

للأستاذ فخرى أبو السعود

لمناسبة ما أبداه بعض الافرنج من أمارات الاستهجان
أثناء عرض مناظر المؤتمر الوطنى بدور السينما

أَقِمْ صَاغِراً وَارْغَمْ حياتَكَ وَاشْقَهَا ... فإنَّكَ مِصْرِىٌّ وَإِنَّكَ مُسْلِمُ !
وإنك شرقِىٌّ وَنَسْلُ أَعَارِبٍ ... بَدِينُكَ غَرْبِىٌّ وَيَعْلُوكَ أَعْجَمُ
وإنك بين البيض أسمرُ كالِحٌ ... وحَظُّكَ فى الدنيا كَجِلْدِكَ أَسْحَمُ
وإنك ذيلُ العصرِ والغيرُ رأسُهُ ... تَقَاعَسْتَ عنه محجما حيثُ يُقْدِمُ
ولستَ بِفَعَّالٍ ولست بصانع ... وغيرُك مشهودُ الصناعة مُحْكَمُ
يجىء بآيات الحضارة مُبْدِعاً ... وتَعْجَبُ مما بات يأْتِى وَتَسْهَمُ
وأنتَ إذا قال المُفَاخِرُ عاجزٌ ... وانْ نَطَقَتْ بِيضُ الصَّوَارِمِ مُفْحَمُ
ورأْيُكَ منبُوذٌ وقولُك ضائعٌ ... وسيَّان منه صارخٌ وَمُكَتِّمُ
وأرضُكَ مَلهى للدخيل وملعبٌ ... وجِدُّكَ مَلهاةٌ لمن يَتَهَكَّمُ
وحقُّك مبذولٌ وسعيك طائشٌ ... وإرْثُكَ بين الطامعين مُقَسَّمُ
وأنتَ أَجِيرٌ فى بلادك خادم ... وغيرُك يُستَجْدَى رضاه ويُخْدَمُ
تَوَلَّى بِأَصْفَى دَرِّها ونتاجها ... ويُرضيك ما يَبْقَى ويكفيك درهم
ولا تَتِبَنْ يوماً عليه إذا ابرى ... يسبُّك مُفتاتاً عليك ويشتم
فمِثْلُكَ مَنْ دَرَاى إذا احْتَدَّ غاضِبٌ
ومثلُكَ مَنْ يُغضى ويعفو ويَحْلُمُ

١٢

إنما جاءت الوفودُ تَرَامى ... لتحيّيك رُكّعاً وقياما
إنهم يُكبرون منك زعيما ... أقعد الناسَ شعرُه وأقاما
إنهم لبّوا دعوةَ الشعب لما ... قدموا أفواجاً فكانوا كِراما
لك يا أحمدُ الامامةُ فى المو ... ت كما كنتَ فى الحياة إماما
حبذا أبياتٌ بها كنتَ تشدو ... فجرت أمثالاً تزين الكلاما
سكت البلبلُ الذى كان يشدو ... كلَّ صبحٍ فيوقظ النوّاما
محسِنٌ للتجديد أحمدُ فى البد ... ء فمن ذا سيحسن الاتماما؟

(بغداد)

جميل صدقى الزهاوى